متخصصة بالبحوث العلمية المحكمة

مجلة فصليّة مؤقّتًا، متخصّصة بالآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة

ISSN 2959-9423

ترخيص رقم 2022/244

صدى العلوم

العدد 11

السنة الثالثة 2026

كانون الثاني

دار بيروت الدولية

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

00961373983

صدى العلوم

متخصصة بالبحوث العلمية المحكمة

ترخيص رقم 2022/244

مجلة فصليّة مؤقّتًا، متخصّصة بالآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة

الرقم التسلسلي المعياري لتعريف المطبوعات: ISSN 2959-9423

رئيس التحرير والمدير المسؤول

د. حسن محمد إبراهيم

00961 3 973983

موقع المجلة الإلكتروني: www.sadaloulum.com

البريد الإلكتروني: sadaloulum@gmail.com

الرقم التسلسلي المعياري الدولي لتعريف الدوريات لإلكترونية: ISSN 2959-9431

الاشتراكات: للأفراد داخل لبنان 80 $ أو ما يعادلها
للمؤسسات 125 $ أو ما يعادلها
مع رسوم البريد ضمناً

تصدر عن:

دار بيروت الدولية
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
009613973983

إخراج فني
Majed Mostafa
+961 70 743 117

تصميم شعار المجلة:
حسين جفال

Website Designed & Developed by
Eng. Ahmad Ali Raychouni
Software Engineer

إنّ الآراء والأفكار الواردة في الأبحاث لا تعبر بالضرورة عن رأي إدارة المجلة وفكرها

المحتويات

11 فرض القوّة العسكرية على العالم ... سنّته الزوال — د. حسن محمد إبراهيم

15 التحوّلات العقائدية لدى السلطة في مصر القديمة — أ.م.د. يحيى قاسم فرحات

43 مرتكزات السيرة النبوية القرآنية وأثرها في بناء شخصية الفرد — د. فاطمة مصطفى دقماق

63 وساطة الذكاء الاصطناعي في التشكيل السوسيوتكنولوجي للعلاقات الجامعية — د. حميدة كاظم العجل

99 الوصايا الحِكَميّة ومرايا الأمراء — أ.م.د. يحيى قاسم فرحات

124 دور النسوة في القصص القرآني — الشيخ د. أحمد جاد الكريم النمر

155 مخاطر طروحات الحركات النّسوية على تفكّك الأسرة المسلمة — كريمة حسن أيوب

186 ضوابط المقاربة الإسرائيليّة في الحرب الروسيّة -الأوكرانية — نجاح إسماعيل حمدان

212 النقود في فلسطين من قيمة اقتصاديّة إلى دلالة رمزيّة ووثيقة للهوية — علي أحمد شويكاني

245 إشكاليّات دعوى بطلان قرار التحكيم الوطني في عقود الاستثمارات النّفطيّة الأجنبيّة — محمّد محسن عبد الجبوريّ

275 التدخل السياسي للمرجعيّة الدينيّة بعد العام 2003 — فاطمة أحمد الموسوي

التحوّلات العقائدية لدى السلطة في مصر القديمة

ثورة أخناتون (1353-1336 ق.م.) أنموذجًا

أ.م.د. يحيى قاسم فرحات[1]

ملخّص

يُعَدّ الفرعون «أخناتون» (أمنحتب الرابع سابقًا) أحد أكثر الشخصيّات إثارةً للجدل في تاريخ مصر القديمة. فقد شهد عهده القصير نسبيًّا (حوالي 1353ـ1336 ق.م) ثورة دينيّة غير مسبوقة غيَّرت ملامح الدين والسياسة والمجتمع في الدولة الحديثة. تهدف هذه الدراسة إلى إعادة صياغة وتحليل سيرة أخناتون وحكمه بصفة أكاديميّة وحياديّة، مع التركيز على السياق التاريخي لعهده، والطابع الفلسفي لفكره التوحيدي وتأثيره في الفكر الديني والسياسي، وأسباب الثورة الدينيّة ـ السياسيّة التي قادها وانعكاساتها الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، إضافة إلى تحليل ترنيمة «آتون» العظمى بوصفها نصًّا فلسفيًّا دينيًّا يعكس عقيدته، وصولًا إلى نتائج حكمه وما تلاها بعد وفاته حوالي 1336 ق.م.

تستند الدراسة إلى مصادر أكاديميّة حديثة باللغات الأجنبية والعربية لدعم النقاش، بهدف تقديم فهم متكامل لهذه الحقبة المفصليّة من تاريخ مصر القديمة.

كلمات مفتاحية: أخناتون، التوحيد، القصر والمعبد، آمون، آتون.

(1) أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ورئيس قسم التاريخ في الفرع الخامس سابقًا.

Abstract

Pharaoh Akhenaten (formerly Amenhotep IV) is considered one of the most controversial figures in the history of Ancient Egypt. His relatively short reign (ca. 1353-1336 BCE) witnessed an unprecedented religious revolution that transformed the features of religion, politics, and society in the New Kingdom (Empire). This study seeks to reformulate and analyze the life and reign of Akhenaten in an objective academic manner, with a focus on the historical context of his rule, the philosophical dimension of his monotheistic thought and its impact on religious and political thought, the causes of the religious-political revolution he led and its social, political, and economic repercussions, as well as an analysis of the Great Hymn to the Aten as a religious-philosophical text reflecting his doctrine.

The study also examines the outcomes of his rule and the developments that followed his death (ca. 1336 BCE). The article is based on recent academic sources in both foreign and Arabic languages to support the discussion, with the aim of providing a comprehensive understanding of this pivotal period in the history of Ancient Egypt.

Keywords: Akhenaten, monotheism, palace and temple, Amun, Aten.

1. مقدمة

في تاريخ مصر الفرعونية الطويل، قلّما نجد شخصيّة محوريّة مثيرة للانقسام بقدر «أخناتون». فقد تميّزت المدّة المحيطة بحكم هذا الملك المصري بتحوّلات جذريّة في البنيّة الاجتماعيّة والسياسيّة والدينيّة. فخلال أقلّ من عقدَين من حكم عرش مصر، أقدم «أخناتون» على سلسلة إجراءات ثوريّة، فقد فرض شكلًا جديدًا من العقيدة يتمحور حول إله واحد هو «آتون»، وانعكس ذلك بتغييرات جوهرية على الفن والعمارة الملكية، ونقل العاصمة إلى موقع جديد «تل العمارنة»، بل حاول محو أسماء بعض الآلهة التقليدية وآثارهم من المعابد والنقوش. وبسبب طبيعة عهده الملتبس، اكتسبت مرحلة «تل العمارنة» ـ وهي التسمية التي تُطلَق على حقبة «أخناتون»ـ اهتمامًا خاصًّا لدى الباحثين.

ورث «أخناتون» عرش مصر في ذروة مجد الدولة الحديثة في أواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد، خلفًا لوالده الفرعون «أمنحتب الثالث» (1390 ـ 1353ق.م.). واتّسم عهده بالرخاء والهيبة الامبراطوريّة؛ إذ بلغت مصر أقصى اتساعٍ لامبراطوريتها، واستقرّ نفوذها من أعالي الفرات شمالًا إلى الجندل الرابع للنيل جنوبًا. إلا أن هذا الازدهار تزامن مع تنامي نفوذ كهنة «آمون» في «طيبة»، الذين راكموا الثروة والسلطة في عهد الأسرة الثامنة عشر [1]. في ظلّ هذا الواقع، اعتلى «أمنحتب الرابع» العرش، وربما شارك والده في الحكم بشكلٍ جزئي قبل وفاته، وبدأ حكمه كأي فرعون تقليدي، لكنه سرعان ما أظهر توجّهًا غير مألوف في العقيدة والممارسة الدينيّة بعد وفاة والده.

شهد العام الخامس من حكم «أمنحتب الرابع» حدثًا مفصليًّا تمثّل في تغيير اسمه إلى «أخناتون» ـ أي «المفيد لآتون» أو «الروح الفعّالة لآتون» بعد أن كان اسمه الملكي يعني «آمون راضٍ». هذا التحوّل في الاسم عكس انتقالًا عميقًا في ولاءات الفرعون الدينيّة من عبادة «آمون»[2] (الإله الرسمي الأقوى آنذاك) إلى عبادة «آتون إله الشمس»[3]. تلا ذلك سلسلة من الإصلاحات الجذريّة والمتدرجة عندما أعلن

(1) الأسرة الثامنة عشر، هي أولى أُسر عصر الدولة الحديثة في تاريخ مصر القديمة، وحكمت تقريبًا بين 1550ـ 1292 ق.م. بعد طرد الهكسوس. وتمثل هذه الأسرة ذروة القوة العسكرية والازدهار الاقتصادي والنفوذ السياسي لمصر على مستوى الشرق الأدنى القديم. (حسن، 2000، ج 4، ص 199).

(2) يُكتب اسمه بالهيروغليفية بأشكال متعدّدة. هو إله «طيبة» عاصمة الدولة المصرية في الأسرتَيْن الحادية عشر والثانية عشر، ثم من الأسرة الثامنة عشر حتى الأسرة الحادية والعشرين. هذا الإله المحارب والذي يعنى اسمه «الخفي، الغامض» كان في الأصل إلهًا بدائيًّا عُرف فقط بين نطاق محدود من علماء اللاهوت. خلال عصر الانتقال الأوّل ولأسباب سياسية. اختاره أمراء «طيبة» إلهًا أساسيًّا للمدينة، وتحت حكم الأسرة الحادية عشر. وفى ظل دولة موحّدة من جديد، أصبح معبد «آمون» بـ «الكرنك» المعبد الخاص بالأسرة الحاكمة. (ريدا، 2008، ص 29).

(3) «آتون» إنه «آتون» «الحي». ظهرت عقيدته في النشيد الأعظم الذي ألّفه الملك «أمنحتب الرابع» وأصبح «أخناتون». كان معنى هذا واضحًا منذ النظرة الأولى، ألا وهو «أتون». النشيد جليًا الذي يرمز إلى قرص الشمس. هو صانع الكون ومنظّمه، وهو الإله الأول الذي خلق الجميع والذي يلجأ إليه الجميع.. يُولَد كل يوم من السماء.. ووجوده في السماء هو ضمان لحياة العالم ولحياة البشرية جمعاء.. باتّحاده مع العناية الإلهيّة تولّدت بينهما قرابة وطيدة الصلة واحترام كبير لا يمكن محوه أبدًا. (ريدا، 2008، ص 15).

«أخناتون» أن «آتون» هو إله أوحد لمصر، ورفع منزلته إلى مقام الإله الأعلى، وابتدأ اضطهادًا منظّمًا للآلهة التقليديّة وفي مقدمتها «آمون».

كذلك أصدر الفرعون أوامره بإزالة أسماء الآلهة الأخرى وصورهم من النقوش والمعابد، وفرض نمطًا جديدًا للطقوس يتركّز حصريًا على تقديم القرابين لـ«آتون» في ساحات مفتوحة تحت ضوء الشمس. ثم ما لبث أن اتّخذ خطوة جريئة أخرى بنقل العاصمة من «طيبة» في صعيد مصر ـ مركز عبادة «آمون» ـ إلى مدينة جديدة تمامًا في مصر الوسطى أسماها «أخيتاتون» (تل العمارنة حاليًا)، ومعناها «أفق آتون». هناك شيّد «أخناتون» معابد فسيحة مكشوفة مخصّصة لعبادة «آتون»، وأقام قصره وإدارته، في قطيعة واضحة مع المؤسسات الدينية والسياسية التقليدية في طيبة.

2. الإشكالية

إن ثورة «أخناتون» الدينية تطرح أمامنا العديد من التساؤلات التاريخيّة والفلسفيّة حول الظروف التي أدّت بفرعون قوي إلى تحدّي عقائد راسخة منذ قرون وفرض عبادة إله واحد، كذلك حول الفكر اللاهوتي أو الفلسفي الذي تبناه في فهمه لمفهوم الألوهية والوحدة الإلهية. أضف إلى ذلك مدى تأثّر البنية السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة في مصر بهذه الثورة المفاجئة. ويجري الحديث عن نصيب ترنيمة آتون العظمى ـ التي تنسب إليه ـ في كشف ملامح عقيدته وأفكاره. وأخيرًا، يأتي الحديث عن نهاية هذه التجربة التوحيدية الأولى من نوعها، ونتائجها التي ترتبت عليها في عهد خلفائه.

لذلك تتمحور الإشكالية في السؤال المركزي:

إلى أي مدى كانت ثورة «أخناتون» الدينيّة تحوّلًا بنيويًّا داخل مصر القديمة؟

ويتفرّع عنها أسئلة فرعية:

- إلى أي مدى أثّرت الثورة التوحيديّة لـ«أخناتون» في السياسة والاقتصاد في مصر القديمة؟

- كيف أدّى الصراع بين القصر والمعبد في دفع «أخناتون» إلى ثورته الدينيّة؟
- كيف انعكست ثورة «أخناتون» على الصعيد الاجتماعي؟

3. المنهج

تعتمد الدراسة منهجًا تاريخيًّا مقارنًا يقوم على تتبّع تطوّر التحوّل العقائدي في عهد «أخناتون» ضمن سياقه الزمني والسياسي في الأسرة الثامنة عشر. ويركّز على المقارنة بين حال المؤسّسة الملكية قبل الثورة الآتونية وأثناءها وبعدها، لا سيّما علاقة القصر بالمعبد وتحوّلات الشرعيّة الدينيّة. كما يقارن بين مستويات التأثير: الديني/ اللاهوتي (مفهوم التوحيد والطقس)، والسياسي/ الإداري (مركزية الحكم ونقل العاصمة)، والاجتماعي/ الاقتصادي (شبكات الكهنة والموارد). ويستند إلى قراءة تحليليّة للنصوص والأدلّة.

4. الفرضيات

انطلاقًا من الإشكاليّة الرئيسة التي تتساءل عمّا إذا كانت ثورة «أخناتون» تمثّل تحوّلًا بنيويًّا في المجتمع المصري أم تحوّلًا محصورًا داخل بنية السلطة، تنطلق هذه الدراسة من افتراضات تحاول اختبار عمق هذا التحوّل واتّساعه الزمني والاجتماعي. وتسعى الفرضيّات التالية إلى تفكيك العلاقة بين البُعد العقدي المعلن والممارسة السياسيّة الفعليّة، ومدى قدرة المشروع الآتوني على إعادة تشكيل البنى الراسخة. وبذلك تُستخدم الفرضيّات أداةً تفسيرية لقياس حدود الثورة الآتونيّة ونتائجها الواقعيّة.

- لم تُحدث ثورة «أخناتون» تحوّلًا بنيويًّا راسخًا في المجتمع المصري ككلّ، بقدر ما مثّلت تحوّلًا عميقًا داخل بنية السلطة الملكيّة ظلّ محدود الانتشار اجتماعيًّا، وهو ما يفسّر سرعة انهيار المشروع الآتوني وعودة النظام الديني التقليدي عقب وفاة «أخناتون».
- أثّرت على المستوى السياسي بشكل فعّال وقوي على مستوى الإدارة ومركز الحكم.

- أسهم التنازع بين القصر والمعبد، لا سيّما تصاعد نفوذ كهنوت «آمون» اقتصاديًّا وسياسيًّا، في إضعاف احتكار الفرعون لمصدر الشرعيّة الدينيّة، ما دفع «أخناتون» إلى تبنّي الثورة الآتونيّة بوصفها وسيلة لإعادة تأسيس مشروعيّة الحكم. وجاءت هذه الثورة لتفكيك سلطة الكهنوت المنافسة، وإعادة توحيد الشرعيّة الدينيّة والسياسيّة في شخص الملك لكونه الوسيط الأوحد بين الإله والدولة.
- انعكست ثورة «أخناتون» الدينية على المستوى الاجتماعي فأدت إلى ظهور طبقة جديدة من الإداريّين، تمثل ذلك في تغيير الأسماء ومنظومة العبادة.

5. السياق التاريخي لحكم «أخناتون» (الأسرة الثامنة عشر)

عاش «أخناتون» (1353 ـ 1336 ق.م.) في عصر بلغت فيه مصر أوج اتساعها وقوتها. وقد شهدت الأسـرة الثامنة عشر (1550ـ1292 ق.م.) ازدهـارًا عسكريًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا غير مسبوق (فخري، 2012، ص 210). وتمكن أجداده من طرد المحتلّين «الهكسوس»[1] وتأسيس الدولة الحديثة[2]، وخاضوا حملات عسكرية ناجحة وطويلة ضد الممالك المجاورة كالحيثيّين[3] في الشمال و«النوبة» في الجنوب[4].

(1) «الهكسوس» هو «حاكم (حكام) الأراضي الأجنبية» وهم شعب ذو أصول متعدّدة، جاؤوا من غرب آسيا واستقرّوا في شرق الدلتا في وقتٍ ما قبل العام 1560 ق. م. وأدى وصولهم إلى نهاية الأسرة الثالثة عشر، وبدأت المرحلة الانتقالية الثانية في مصر. (عبودي، 1991، ص 895).

(2) الدولة الحديثة (حوالي 1550ـ1070 ق.م)، هي العصر الإمبراطوري الذهبي لمصر، تميّزت بالقوة العسكرية والتوسّع الخارجي، وبلغت فيه الحضارة المصرية أوج نفوذها السياسي والديني، مع ملوك بارزين مثل «تحتمس الثالث»، «حتشبسوت»، «أمنحتب الثالث»، و«أخناتون» و«رعمسيس الثاني» (حسن، 2000، ج 4، ص 210)

(3) الحثّيّون شعب أجنبي استوطن الأناضول منذ الأزمنة القديمة، وامتدت سيطرته إلى سوريا الشمالية، عاصمتهم «حاتوشا». ظهر اسمهم في النقوش منذ الألف الثالث ق.م.، من أبرز ملوكهم الملك «سوبيلوليوما» (1382ـ 1341 ق.م.) الذي احتل شمال سوريا، نشب بعده نزاع بين الحثّيّين والفراعنة انتهى في العام 1271 ق.م. بتسوية بين الطرفين. (عبودي، 1991، ص 343).

(4) النوبة: إقليم تاريخي واسع إلى الجنوب من أسوان على امتداد النيل، مثّل موطنًا لشعوب مميّزة عن المصريّين، وارتبط تاريخيًّا بالممالك الكوشية والنوبية اللاحقة. (الحموي، 1977، مج 5، ص 308).

أما والده «أمنحتب الثالث» (حكم حوالي 1390–1353 ق.م.) فقد تميّز عهده بالسلام والثراء الناجمَيْن عن الجزية والتجارة مع الدول الخاضعة والنائية (فخري، 2012، ص. ص. 212–218). وقد ازدهرت أثناء حكمه الفنون والعمارة (شيّد معبد الأقصر الضخم وغيره)، وتعاظمت مكانة زوجته الملكة «تي»[1] التي حظيت بنفوذ كبير في البلاط، وفي الشؤون الدينيّة أيضًا.

غير أن هذا الرفاه الظاهر كان يخفي تحدّيات داخلية، أبرزها تنامي سلطان كهنة «آمون» في معبد «الكرنك» بـ «طيبة». فقد راكم هؤلاء الكهنة الثروة وامتلاك الأراضي، واحتلّ كبير كهنتهم مكانة سياسيّة موازية للملك في بعض النواحي (فخري، 2012، ص. ص. 180–190). كما امتلك المعبد موارد اقتصادية هائلة مستقلّة عن الخزينة الملكية، ما خلق «دولة داخل الدولة» وجعل من الكهنة قوة لا يُستهان بها، قد تهدد سلطة الفرعون ذاته.

وقد غدا كهنة «آمون–رع» القوة السياسيّة الجبارة في البلاد، تخضع لإمرتهم معابد ضخمة وجهاز كهنوتي متنامٍ، إضافة إلى استحواذهم على المعتقدات الشعبية. فعلى سبيل المثال، إن قدرة الكهنة على تقديم ملك أنثى للشعب، مثل «حتشبسوت»، تُعدّ مؤشّرًا واضحًا على مدى النفوذ الديني والسياسي الذي امتلكوه (ورد، 1981، ص. 173).

خلال السنوات الأولى من حكمه (حوالي 1353–1348 ق.م.)، لم يكن هناك ما ينبئ بالتغيّرات العاصفة القادمة، ثم مارس «أمنحتب الرابع» الشعائر التقليديّة وظهر في النقوش يكرّم الآلهة المتعارف عليها (Aldred, 1988, pp. 125-135). لكن يُلمح بعض الباحثين إلى بوادر مبكرة؛ إذ أبدى الملك اهتمامًا متزايدًا بإله الشمس «آتون»

(1) الملكة «تي» هي الزوجة الملكية العظمى لـ«أمنحتب الثالث»، ذات نفوذ سياسي وديني كبير على الرغم من أصولها غير الملكية، ولها تأثير مباشر في البلاط الملكي وفي التحوّلات التي تلت عهد زوجها (سليم حسن، 1953، ج6، ص.ص. 79–85).

حتى قبل إعلانه الثورة الدينيّة (Hornung, 2001, p.p. 37-42). لقد كان «رع–حور–آختي» (إله الشمس في الأفق) يحتلّ مكانة مهمة ضمن ثالوث «طيبة»، وأحد تجليّات الإله «رع» الذي اندمج مع «آمون» في عقيدة «آمون–رع».

يبدو أن «أمنحتب الرابع» قدّم «آتون» في البداية كصيغة جديدة ممزوجة تجمع بين «رع» و«آمون»، ربما لاستمالة الأذهان تدريجيًّا (Assmann, 2014, p.p. 45-48). وكما كان الخطر محدقًا بالدولة دينيًّا عبر سيطرة كهنة «آمون»، فالحلّ من منظور الملك قد تمثّل في استبدال الإله الذي يخدمه هؤلاء الكهنة بإله آخر «فأغلق معابد آمون وتشتت كهنته» (ورد، 1981، ص 174)، وهي شهادة تؤيّدها المصادر الغربيّة (Redford, 1984, p.p. 63-70).

غير أنه ما لبث أن كشف عن توجّه أكثر حصرية؛ ففي حوالي العام الثالث أو الرابع من حكمه، بدأ بمحو اسم «آمون» من النقوش والمعابد، بما في ذلك اسمه الشخصي «أمنحتب» المنقوش على الآثار (Hornung, 2001, p.p. 48-54). وبلغ الحدّ الأقصى عندما اتخّذ اسم «أخناتون» في العام الخامس، إيذانًا ببدء عهد جديد (Redford, 1984, p 104).

رافقت هذه الخطوات الدينيّة تغييرات سياسيّة وفنيّة وإداريّة. ففي الوقت الذي كان «أخناتون» يرفع فيه شعار التوحيد الديني، كان أيضًا يسعى لتركيز السلطة الملكية في يده وتقليص مراكز النفوذ الموازية (Assmann, 2014, p.p. 60-65). ولتجسيد قطع الصلة نهائيًّا مع الماضي «شرع ببناء عاصمة جديدة، وغدت طيبة مدينة عادية، بينما نقل البلاط الملكي ودوائر الحكومة المركزية نحو الشمال إلى مدينة تل العمارنة» (ورد، 1981، ص 174)، وهو ما تؤكّده الدراسات الحديثة (Aldred, 1988, p.p. 170-185).

قرّر الفرعون أن مدينة «طيبة»، بإرثها الديني الثقيل وتركيز كهنة «آمون» فيها، لم تعد

مناسبة لدعوته. من هنا جاء قراره الجريء بتأسيس عاصمة جديدة على أرض «بكر» لم تطأها عبادة أي إله آخر، لتكون مركزًا حصريًّا لعبادة «آتون». فوقع اختياره على موقع في منتصف الطريق بين «طيبة» و«ممفيس»، عند منعطف نهر النيل في منطقة خالية (تل العمارنة اليوم). وتذكر النصوص أن الملك شهد بزوغ الشمس بين جبلَيْن في الأفق فعدّه علامة إلهية (Aldred, 1988, p.p. 175-178).

وقد أمر بنصب لوحة عند تخوم مملكة مصر تُعلن أن «آتون» نفسه قد اختار هذا الموقع للملك، وتشير لوحات حدود المدينة إلى أنّ «أخناتون» أطلق على عاصمته الجديدة اسم «أخيتاتون»، الذي يُترجم في النصوص المصرية إلى «مكان الحقيقة لآتون»، وهو تعبير ذو دلالة لاهوتية يهدف إلى تأكيد قداسة الموقع وانفصاله عن المراكز الدينيّة التقليديّة في «طيبة» (حسن، 2000، ص 78). وقد شُيِّدت المدينة وفق برنامج عمراني جديد اعتمد على استخدام حجارة التلَتات (Talatat)، وهي كتل حجرية صغيرة الحجم أدخلها «أخناتون» لتسريع عمليات البناء وتمكين فرق العمل من إقامة المعابد والقصور في مدّة زمنية قصيرة نسبيًّا، وهو ما عدّه «سليم حسن» سمة معماريّة وإدارية مميّزة لعصر العمارنة (حسن، 1953، ص 80)، لتجسّد شعار «أخناتون» السياسي–الديني الذي يتضمّن «إله واحد، مدينة واحدة، حاكم واحد» (Assmann, 2014, p 70).

6. الفكر التوحيدي لـ«أخناتون» وتأثيره الديني والسياسي

مثّل فكر «أخناتون» التوحيدي منعطفًا تاريخيًّا في تطوّر الدين المصري. فلأول مرة يُعلن فرعون مصري صراحةً أن هناك إلهًا واحدًا أحدًا جديرًا بالعبادة، رافضًا التعدّدية التقليديّة. وارتكزت ديانته على عبادة «آتون» بوصفه المصدر الأوحد للحياة والنور، وتجسيده المادّي هو قرص الشمس الذي يرسل أشعته لكل الكائنات. كان هذا المفهوم مختلفًا عن فهم المصريين السابق للألوهية؛ فعلى الرغم من وجود ميل

مصري قديم لتمجيد إله رئيس (مثل عبادة آمون-رع كإله أعظم ضمن مجمع الآلهة)، فإن «أخناتون» ذهب إلى مدى أبعد بإقصاء جميع الآلهة الأخرى تمامًا من العبادة الرسميّة. ويؤكد عالم المصريات «دونالد ريدفورد» أن عبادة «آتون» نشأت بمثابة «حرب تحطيم أصنام» بين «الإله الصالح» (أي آتون ممثلًا في أخناتون) وبقية الآلهة، انتهت بانتصار الأول وإبادة الآخرين. فقد أغلق معابد الآلهة الأخرى بالتدريج، وصادر أملاكها، ومحا أسماءها من النصوص، بل وعدّل النصوص الأدبيّة والدينيّة لتنقية أي ذكر لآلهة غير «آتون». لقد ألغى الطقوس والأساطير التقليدية وعدّها ضربًا من الباطل، وحرّم أي مزج أو توفيق بين «آتون» وغيره، فإلهه يُقصي ولا يمتصّ ولا يقبل المشاركة (Redford, 1984, p.p. 62-75; 104-110).

من الناحية الفكرية، يُثار تساؤل عمّا إذا كان توحيد «أخناتون» يمثل توحيدًا بالمعنى الفلسفي المطلق (Monotheism) ، أم مجرّد تركيز لعبادة إله واحد مع القبول بوجود آلهة أخرى بشكل ضمني وحدانية جزئية. يجادل بعض الباحثين أن «أخناتون» لم ينكر وجود الآلهة الأخرى صراحةً بقدر ما أنكر عبادتها، أي أنه جعلها غير ذات صلة وألغى دورها دون أن يخوض في نفي ميتافيزيقي لوجودها. ومع ذلك، فالثابت أنه رفع «آتون» إلى مقام الإله الوحيد للدولة وجعل عبادته مركز الحياة الدينيّة، ما يحمل سمات التوحيد الصارم. وقد احتدم النقاش بين الدارسين في الموضوع، فمنهم من رأى «أخناتون» أول موحِّد في التاريخ البشري، ومنهم من عدّ تجربته مجرّد إصلاح ديني سياسي استهدف تركيز السلطة أكثر من كونه بحثًا لاهوتيًّا صادقًا، فيما ذهب آخرون للتكهّن بأن دوافعه ربما كانت روحانيّة عميقة أو حتى نابعة من اضطراب نفسي أو تأمّل فلسفي فريد. لذا فالحقيقة المحتملة قد تكون مزيجًا من كل ذلك. فليس هناك ما يمنع أن يكون قد آمن فعلًا بعقيدته الجديدة وفي الوقت نفسه أدرك فائدتها في تحجيم نفوذ الكهنة وتقوية الحكم الملكي المركزي وهذا ما يمكن ترجيحه (Hornung, 2001, p.p. 85 - 104).

1.6. تأثيرات الفكر التوحيدي اجتماعيًّا

كانت لديانة «آتون» جوانب فلسفيّة لافتة. فقد طرحت رؤية كونيّة ترى في الشمس مصدرًا للحياة لكل البشر على اختلاف أجناسهم وألسنتهم. ويؤكّد «أخناتون» في أناشيده أن «آتون» يشرق بنوره على المصري والأجنبي على حدّ سواء، ويمنح الجميع نسمة الحياة دون تمييز، ويضع كل إنسان في موضعه ويمنحه رزقه وأيامه المحدودة. هذه النظرة تعكس نزعة عالميّة غير معهودة في الفكر الديني المصري الذي كان عادةً محليّة وإقليميّة حيث أنّ كل إقليم يرتبط بإله محلّي. كما تظهر نزعة إنسانيّة في التركيز على رزق البشر وحياتهم اليوميّة في ظلّ نظام إلهي واحد. ومن جهة أخرى، أسقطت عقيدة «أخناتون» الكثير من التقاليد الشعائريّة المعقّدة والرمزية التي ميّزت الديانة المصريّة. فلا أساطير متعدّدة الطبقات، ولا صور مجسّدة متنوّعة للآلهة، فقط قرص الشمس وأشعته التي تمتدّ بالخير. حتى الفنّ في عهده؛ قد أخذ منحى واقعيًّا أو رمزيًّا جديدًا؛ حيث ظهرت العائلة الملكيّة في مشاهد حميميّة تحت أشعة «آتون» المباركة، وتغيّرت ملامح الرسم والنحت لتعكس، بحسب تفسير كلٍّ من «هورنونغ» (2001) و«أسمن» (2014) و«ريدفورد» (1984)، بناءً رمزيًّا فلسفيًّا يُراد به التعبير عن احتواء الإله الواحد لكل صفات الخلق في شخص الفرعون بوصفه وسيطه الأوحد، لا مجرّد سِمة جسديّة أو اضطراب عضوي. وقد يكون «أخناتون» قصد بهذه الصور إظهار نفسه كوسيط فريد بين الإله والناس وليس كهنة «أمون» الذين يرَوْن أنفسهم قناة الاتصال الرئيسة بالإله وليس بالملك (Lichtheim, 1978, p.p. 96-100; Hornung, 2001, p.p. 90-97; Assmann, 2014, p.p. 66-72; Redford, 1984, p.p. 171-178).

2.6. على المستوى السياسي

كان لتحوّلات «أخناتون» أثر دراماتيكي على مفهوم السلطة في مصر. فعلى مدار قرون، عُدّ الفرعون وسيطًا بين الآلهة والشعب، لكنه لم يكن يومًا الكاهن الأوحد أو المحتكر لكل الشعائر؛ إذ شاركه كهنة المعابد في إدارة الدين. إلى أن جاء «أخناتون»

وقلب هذه المعادلة، فقد نصّب نفسه الكاهن الأكبر الأوحد لـ«آتون» والممثّل له في الملك، وألغى فعليًّا دور أي وسطاء آخرين. فلم يعد هناك حاجة إلى كهنة «آمون» أو غيره، فالفرعون نفسه هو الممثّل الوحيد للإله. مفترضًا القول لا يحقّ حتى لكهنة كبير الآلهة أن يتجاوزوا سلطان الملك الذي إنما يمارس عملًا نُصّ على أبديّته منذ الخليقة (ورد، 1981، ص 175) ضاربًا بذلك رؤية كهنة «آمون-رع» لكونه كبير آلهة الأمة، لذا على الملوك أن يستجيبوا للكهنة وليس العكس. لقد وقف «أخناتون» وحيدًا تحت قرص الشمس يقدّم القرابين، وعلى الشعب أن يكتفي بمشاهدة الفرعون وعائلته وهم يعبدون «آتون» بالنيابة عن الجميع. أدّى ذلك إلى تمركز غير مسبوق للسلطة الدينيّة في شخص الملك، وتماهٍ تام بين السلطتَيْن الدينيّة والدنيويّة. وقد أشار «أسمان» (Assmann) (2014) إلى أن إصلاحات أخناتون الدينية لها بُعد سياسي احتكاري بقدر ما لها بُعد ديني توحيدي. فحصر العبادة في إله واحد مرتبط بمدينة جديدة تحت سيطرة الفرعون يعني أيضًا تحجيم قوة مراكز القوى التقليدية (كهنة آمون) وإعادة توزيع الموارد لصالح البلاط الملكي. بعبارة أخرى، أدّت هذه الإصلاحات إلى مركزيّة شديدة للسلطة روحيًّا وجغرافيًّا وفق معادلة: إله واحد = ملك واحد = عاصمة واحدة. وربما لهذا ليس صدفةً أن اسم «أخناتون» نفسه يعني «روح آتون الفعّالة»، فكأنما أراد الملك إيصال رسالة بأنه التجسيد الحي لإرادة الإله الجديد (Assmann, 2014, p.p. 60 - 72).

على الرغم من هذه التغييرات الجذرية، تجدر الإشارة إلى أن تأثير ثورة «أخناتون» على عامّة الشعب كان متفاوتًا. فالأدلّة الأثريّة الحديثة تشير إلى أن التديّن الشعبي خارج إطار البلاط، ربما استمر على عهده السابق إلى حدّ كبير، وأن الناس العاديّين، بخاصّة في الأقاليم البعيدة عن العاصمة الجديدة، ظلّوا يعبدون آلهتهم التقليديّة في الخفاء أو دون صخب. ويقول عالم المصريات «إيان شو» إن «بدع أخناتون ربما كان لها تأثير ضئيل بشكل مدهش على غالبية رعاياه، في حين أن النخبة هي التي تأثرت

بشكل كامل، إذ اضطرت لتغيير أسمائها (لحذف أسماء الآلهة منها)، وممارساتها الدينية، بل وحتى أماكن إقامتها (بالنسبة لمن انتقل إلى أخيتاتون)». هذا الرأي تعزّزه الحفريّات في «تل العمارنة»، حيث عُثر في بيوت العامّة على تمائم لآلهة تقليديّة مثل «حورس»، ما يدلّ على استمرار تديّنهم التقليدي سرًّا. لذا يمكن القول إن ثورة «أخناتون» كانت «من الأعلى إلى الأسفل»، فرضها الفرعون والنخبة المحيطة به، بينما ظلّ ولاء العامّة للعقائد القديمة كامنًا تحت السطح، ينتظر الفرصة ليطفو من جديد (Shaw, 1996, p.p. 314 - 317).

7. أسباب الثورة الدينيّة وانعكاساتها

تعود الثورة الدينيّة التي قادها «أخناتون» إلى جملة عوامل متداخلة، في مقدمتها التنازع المتصاعد بين القصر والمعبد حول مصدر الشرعيّة الدينيّة والسياسيّة. فقد أدّى تضخّم نفوذ كهنة «آمون» اقتصاديًّا ومعنويًّا، إلى نشوء سلطة موازية حدّت من احتكار الفرعون للدور الوسيط بين الإله والدولة. في هذا السياق، جاءت العقيدة الآتونية بوصفها مشروعًا دينيًّا–سياسيًّا يهدف إلى إعادة تركيز الشرعيّة في شخص الملك، عبر إقصاء المراكز الكهنوتيّة التقليديّة وتأسيس نموذج جديد للعبادة يخضع مباشرة لإرادة القصر، مدعومًا بعوامل فكريّة واقتصاديّة عزّزت هذا التوجّه الثوري.

1.7. أسباب الثورة التوحيديّة

إن فهم دوافع ثورة «أخناتون» الدينيّة يستوجب تحليلًا متعدّد الأوجه يجمع بين العوامل الدينيّة والفكريّة والعوامل السياسيّة والاقتصاديّة والشخصيّة. فمن الجانب الديني البحت، يبدو «أخناتون» مؤمنًا بقوة «آتون» وسطوعه. إذ تذكر النصوص أنه كان يُنشد له بإخلاص وحماس، ويصفه بأنه «الشمس الحي الذي لا نظير له» و«خالق كل شيء بمفرده». هذه العبارات توحي بقناعة روحيّة داخله بأن الإله الواحد هو الحقيقة العليا، وربما بفكرة قدسيّة الشمس التي كانت معروفة في «هليوبوليس» (عين شمس)

مركز عبادة «رع». ولعل وجود الملكة «تي» (والدته) التي تنحدر من أصول غير ملكية والتي تمتّعت بخلفية فكريّة مختلفة، وكذلك تأثير بعض المعلّمين أو الكهنة المنفتحين في البلاط، ساهم في صياغة فكر أخناتون في شبابه (حسن، 2000، ج 5، ص 251).

2.7. الجانب السياسي

لا يقل الجانب السياسي أهمّية عن سواه، فقد ورث «أخناتون» دولة مترامية الأطراف تحتوي على مراكز قوى متعدّدة، كان كهنة «آمون» في «طيبة» أبرز هذه القوى، وتكبر مكانتهم مع كل فرعون منذ «تحوتمس الثالث»[1]. وأدرك «أخناتون» أن استمرار هيمنة الكهنوت قد يقوّض سلطان العرش ذاته، خاصّة وأن والده «أمنحتب الثالث» كان قد أبدى تسامحًا وتراخِيًا تجاه نفوذهم. وبالتالي يمكن النظر إلى الثورة الدينيّة أيضًا كخطوة إصلاحية-ثورية سياسية تهدف إلى كسر شوكتهم وإعادة توزيع السلطة والثروة. وباختيار «آتون»، الإله غير المرتبط بسابق نفوذ كهنوتي قوي، إلهًا أوحد، ضَمن «أخناتون» أن لا ينازعه أحد في التحّكم بموارد العبادة الجديدة. فمعابد «آتون» كانت جديدة في صحراء العمارنة، يديرها مقرّبون من الملك، وبالتالي أصبح دخلها وأوقافها تحت السيطرة الملكية المباشرة بدل أن تكون تركة يتقاسمها كهنة «آمون» الأقوياء. بهذا المعنى، كان توحيد العبادة وسيلة لترسيخ المركزيّة وإضعاف القوى المحليّة، حيث أُلغيت استقلالية المعابد الإقليميّة وحُلّت شبكات كهنوتيّة عمرها قرون (بريستد، 1996، ص 240).

(1) «تحتمس الثالث» هو أحد أعظم ملوك الأسرة الثامنة عشر في مصر القديمة (حكم نحو 1479-1425 ق.م)، عُرف بوصفه أبرز القادة العسكريّين في تاريخ مصر الفرعونيّة، إذ قاد عشرات الحملات العسكرية التي أسّست الامبراطوريّة المصرية في بلاد الشام والنوبة، ورسّخ الهيمنة السياسيّة والعسكريّة للدولة الحديثة، إلى جانب إنجازاته الإداريّة والمعمارية الكبرى (حسن، 2000، ج 4، ص 388).

3.7. العامل الاقتصادي

ساهم العامل الاقتصادي كدافع خفي في حركة أخناتون الثورية. فقد امتلكت معابد الآلهة التقليدية، وعلى رأسها معبد «آمون»، مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية والموارد، يعمل بها آلاف المصريين، وتدرّ دخلاً كبيرًا يُنفق على أنشطة الكهنوت والطقوس والبناء. إلا أنه عندما أوقف «أخناتون» العبادة القديمة، انتقلت تلك الموارد نظريًّا إلى خزينة الدولة أو إلى معبد «آتون» الجديد. لكن بناء مدينة جديدة بهذا الحجم (أخيتاتون) ومعابدها وقصورها تطلّب تكاليف باهظة ويد عاملة كبيرة، ما شكّل ضغطًا كبيرًا على الاقتصاد. وتشير رسائل «تل العمارنة»[1] إلى نقص إمـدادات في بعض المناطق وإلى انشغال البلاط بالمشروع الديني على حساب الاهتمام بأحوال المقاطعات والامبراطورية الخارجية. ومن هذه الرسائل؛ رسائل حكّام كنعان وسوريا الذين اشتكوا من تجاهل مصر لنجدتهم ضد أعدائهم. فقد يكون «أخناتون» (أو حكمه) أقلع عن إرسال الحملات العسكرية لضبط النفوذ المصري في آسيا، إمّا لانشغاله بالإصلاحات أو ربما لرغبته في انتهاج سياسة سلميّة عالميّة تتّسق مع عقيدته. لكن النتيجة واحدة هي تراجع نفوذ مصر الخارجي في أواخر عهده، وخسارة بعض الممتلكات في آسيا و«النوبة» أو على الأقل فقدان هيبة السيطرة التي تمتّعت بها زمن أبيه، هذا التراجع شكّل انعكاسًا سياسيًّا خطيرًا، ترك عبئًا على خلفائه لمعالجته (Redford, 1984, p.p. 216 - 223).

8. الآثار الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة

لم تقتصر ثورة «أخناتون» على بُعدها العقدي والسياسي فحسب، بل امتد تأثيرها

(1) في العام 1887، عُثر في «تل العمارنة» على ألواح طينيّة أُطلق عليها اصطلاحًا رسائل «تل العمارنة»، وهي عبارة عن مجموعة رسائل من ديوان «أمنحوتب الثالث» وابنه «أخناتون»، وهي تتضمن الرسائل المتبادلة بين كل من الفرعونيّين وبين ملوك وولاة عهدَيْهما في الشام. وهناك احتمال بأن هذه الألواح ما هي إلا صورة طبق الأصل للخطابات التي أرسلت للاحتفاظ بها في أرشيف الدولة. (أديب، 2000، ص 293).

العميق إلى النسيج الاجتماعي والاقتصادي للدولة المصرية بكل طبقاته. فقد أحدثت هذه التحوّلات اختلالات ملموسة في البُنى التقليديّة للوظائف والولاءات والهويّات، لا سيّما داخل أوساط النخبة المرتبطة بالمعبد والإدارة. ومن هنا تبرز أهمّيّة الوقوف على انعكاسات الثورة الآتونيّة في مستوياتها الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة على حدّ سواء.

1.8. الآثار الاجتماعية

أحدثت ثورة أخناتون هزّة داخل طبقة النخبة. فالكهنة والموظفون التقليديّون إما فقدوا مناصبهم أو اضطروا للانتقال إلى عقيدة «آتون» الجديدة. كثير منهم انتقلوا جسديًّا إلى العاصمة الجديدة، تاركين وراءهم جذورهم في «طيبة»[1] وممفيس»[2]. واضطر من كان يحمل اسمًا يكرّم «آمون» أو غيره من الآلهة إلى تغيير اسمه ليصبح مكوّنًا من «آتون» بدلًا منه. لاحقًا؛ بعد عودة عبادة «آمون» حوالي 1332–1331 ق.م. شكّلت ضغطًا على الهويّة الثقافيّة للمصريّين؛ فالأسماء لم تكن مجرّد وسيلة نداء، بل مرتبطة بدين وهويّة الشخص وعائلته. كذلك فُرض نمط جديد من الحياة

(1) طيبة: (الأقصر اليوم) تقع مدينة الأقصر، أغنى مدن وادي النيل بالآثار الفرعونية، في محافظة «قنا»، على بعد **(670)** كلم من القاهرة. وقد بدأت الحياة في مكان هذه المدينة منذ العصور الحجرية القديمة، ثم كانت عاصمة لأحد أقاليم الصعيد في أثناء الدولة القديمة، فعاصمة لمصر كلها في عهد الدولة الوسطى، ثم اتّسعت في عهد الدولة الحديثة، حتى أصبحت أكبر مدن الدنيا وأهمها. قال عنها شعراء الإغريق إنها المدينة ذات المائة باب، ونجد فيها من روائع العمارة وبدائع النحت والتصوير ما يفوق كل وصف. وعرفت هذه المدينة، منذ أقدم الأزمنة باسم «واست» ومعناها الصولجان، وكان رمزًا للحكم والسلطان أيام الفراعنة، ثم أطلق عليها الإغريق اسم «طيبة» (أديب، 2000، ص 606).

(2) يرجع المؤرخ الإغريقي «هيرودوت» إنشاء مدينة «ممفيس» إلى الملك «مينا»، مؤسّس الأسرة الأولى، وكانت تسمى في بادئ الأمر مدينة «الجدار الأبيض»، ثم أطلق عليها، وفى عهد الملك «ببى الأول» من الأسرة السادسة. «من نفر» التي حرفها الإغريق إلى «ممفيس»، والعرب إلى «ممفيس». وقد عرفت هذه المدينة في العصور التاريخية بأسماء عديدة، منها «تيوت» تعني المدينة «نيوت نحح» أي «المدينة الأبدية»، وكذلك «وعنخ تاوى» أي حياة الأرضين، وغير ذلك من الأسماء. وكان الغرض من بنائها، في بادئ الأمر، أن تكون بمثابة قلعة لمراقبة أهل الدلتا الذين أخضعهم ملك الصعيد، وقد استطاع ملوك العصر العتيق، بفضل موقعها المتوسط، الأشراف على الوجهين البحري والقبلي (أديب، 2000، ص 776).

الدينيّة، فقد أُلغيت الأعياد التقليديّة لكثير من الآلهة، وتوقف الحجّ إلى معابد عدة منها «أبيدوس»[1] وغيرها، وبات التركيز على احتفالات تخصّ «آتون» فقط، بالإضافة إلى عيد «سِد» للملك نفسه. أما عامّة الشعب، فعلى الرغم من أن الكثيرين استمروا في ممارساتهم القديمة سرًّا، إلا أنهم رسميًّا حُرموا من طقوس عباداتهم المحلّيّة (مثل مواكب الآلهة السنوية)، والتي كانت مصدر بهجة وترابط اجتماعي. ويمكن تخيّل خيبة أمل الكثيرين، خاصّة خارج دائرة البلاط، من هذه التغييرات التي بدت لهم وكأنها انقلاب على ما اعتادوه من تقاليد الآباء والأجداد (Kemp, 2012, p.p. 141 -152; 291 - 299).

2.8. الآثار السياسية

دخلت مصر فيما يشبه عزلة داخلية. فبتركيز الحكم والإدارة في «أخت آتون»، وابتعاد الملك عن «طيبة» وممفيس»، فقدت الدولة مركزية مزدوجة كانت قائمة من خلال تقسيم الأدوار بين الشمال والجنوب. وقد أحدث فراغًا ما، ملأه إلى حدّ ما قادة الجيش وكبار المسؤولين الذين ظلّوا موالين للفرعون. وتفيد بعض المصادر بأن «أخناتون» استمال الجيش لصفّه، وذلك ليعوّض نقص دعم كهنة «آمون». وقد يكون العديد من الضباط والمسؤولين الجدد ظهروا من خلفيّات متواضعة ليحلّوا محلّ الارستقراطيّة التقليدية، الأمر الذي يمكن أن يلمّح إلى حراك اجتماعي أفرزته الثورة، حيث فضّل الملك رجالًا موثوقين في عقيدته على النبلاء «المحافظين». من جهة أخرى، أدّى توقف الحملات العسكريّة والعلاقات الخارجية الباردة في عهده

(1) الاسم الذي يطلقه المشتغلون بالدراسات المصرية القديمة على بلدة «العرابة المدفونة» وآثارها، وهي على حافة الصحراء غربي مدينة «البلينا» بمحافظة «سوهاج»، وكان اسمها القديم «أبدو» وكتبه اليونانيون «أبيدوس» وكانت من بلاد الإقليم الثامن من أقاليم الوجه القبلي الذي كانت مدينة «لنى» القريبة من «أبيدوس»، وتعدّ «أبيدوس» من أهم المناطق الأثرية بمصر، حيث أدّت دورًا كبيرًا في التاريخ الديني للبلاد في جميع العصور. كانت جبانة لمدينة «ثنى» وهي المدينة التي خرج منها الملك «مينا» مؤسّس الأسرة الأولى الذي وحّد البلاد وأصبحت لمدّة من الزمن عاصمة لمصر كلها، وكانت طيلة أيام الأسرتين الأولى والثانية (العصر العتيق) منافسة للعاصمة الشمالية في منطقة «ممفيس» (أديب، 2000، ص 30).

إلى هدوء نسبي أنهى اندفاعات الفتح التي ميّزت أوائل الدولة الحديثة. هذا السلام قد يُعدّ إيجابًا لو استمر، لكنه على المدى البعيد أضرّ بمصالح مصر الاستراتيجية، فازداد نفوذ الحيثيّين في بلاد الشام (Shaw, 1996, p.p. 274 - 279).

3.8. الآثار الاقتصادية

واجهت مصر تحوّلات توزيع الموارد. فإغلاق معابد الآلهة القديمة أدّى إلى تعطيل شبكة اقتصاديّة كاملة كانت مرتبطة بها من مزارعين وعمّال يعتمدون على نشاط المعابد. وانتقل بعضهم لخدمة مشاريع «آتون» الجديدة، لكن البعض الآخر عانى اقتصاديًّا. ولأن إنشاء العاصمة الجديدة تطلّب يد عاملة ضخمة؛ فقد جُنّدت السخرة لإقامتها سريعًا، إذ تشير التقديرات إلى أنها بُنيَت في مدة 2–3 سنوات فقط، باستخدام كتل بناء صغيرة تدعى «تلَتات»[1] ليسهل حملها. هذا يعني جهدًا ومالاً وسحب يد عاملة من حقول الزراعة وغيرها، ما قد يكون سببًا في معاناة بعض المناطق من نقص الموارد. كذلك، أدّى نقل العاصمة إلى تغيير خطوط التجارة والإدارة؛ فالتجّار والموظّفون اضطُرّوا لإعادة توجيه أنشطتهم إلى «العمارنة» ما خلق حالة ارتباك اقتصادي (Redford, 1984, p 174).

على المستوى الفكري والحضاري، أثارت ثورة «أخناتون» أسئلة عميقة حول مفهوم الحق الإلهي. فقد اعتاد المصريّون على تعدّدية تضمن توازنًا (ماعت) بين قوى مختلفة. فجأة، وجدوا أنفسهم أمام عقيدة تزعم امتلاك الحقيقة المطلقة الواحدة. وهذا ما حفّز بعض المثقّفين أو الكهنة للتساؤل عن إمكانية الإله الواحد أن يُغني عن كل الآخرين حقًّا، وهل يخالف ذلك مبدأ التنوّع الكوني الذي آمنوا به؟ مثل هذه التساؤلات للأسف لا نجد لها توثيقًا مباشرًا، لكن بعض أفراد النخبة قاوموا فكريًّا ولو سرًّا هذه التحوّلات،

(1) كتل حجرية صغيرة موحّدة القياس استُخدمت على نطاق واسع في عهد «أخناتون» من أجل تسريع عمليات البناء وتكثيفها، لا سيّما في تشييد معابد «آتون» ومدينة «أخيتاتون» (تل العمارنة)، وقد مكّنت الدولة من تنفيذ مشروعها العمراني–الديني في مدّة زمنية قصيرة جدًا مقارنةً بالأساليب التقليدية (Redford, 1984, p 174).

وعدّوها تهديدًا لـ«ماعت» (النظام الكوني الحق). ولعلّ ذلك يُفسّر الإصرار الشديد لـ«أخناتون» على قمع حتى الذِّكر الخفي للآلهة القديمة، لشعوره بأن أي تهاون قد يؤدّي إلى انتفاضة فكرية ضدّه (Hornung, 2001, p.p. 41 - 50; 99 - 105).

9. ترنيمة «آتون» العظمى بوصفها نصًّا فلسفيًّا دينيًّا

تمثّل ترنيمة «آتون» العظمى[1] وثيقة بالغة الأهمّيّة لفهم الفكر الديني والفلسفي لـ«أخناتون»، إذ يستهلّ الأخير الترنيمة بوصف بزوغ الشمس في الأفق كحدث كوني بهيج يبعث الحياة في كل الأرض: «تظهر في أفق السماء، أيها الشمس الحي الذي بدأ الحياة. حينما تشرق في الأفق الشرقي في الصباح، تملأ كل البلاد بجمالك ...». هنا إعلاء لقيمة النور الإلهي الذي يوقظ العالم من الظلمة. ثم تمضي الترنيمة لتصوّر كيف يعمُّ نور «آتون» كافة الأرجاء بلا استثناء، فيجعل الناس «يركعون لأشعتك» أينما بلغ مداها، وكيف أنه على الرغم من بُعد «آتون» في السماء فإن أنواره حاضرة تلامس الجميع وكأنه «في وجوههم». وعندما تغرب الشمس، يعمّ الظلام وينام الناس وتخرج الضواري؛ في وصف دقيق لدورة الطبيعة، ما يبرز اعتماد العالم على حضور الإله ونوره (Lichtheim, 1978, p.p. 96 - 100).

تتضمن الترنيمة أيضًا أفكارًا فلسفيّة حول الخلق ووحدة الوجود. ويقول النصّ مخاطبًا «آتون»: «أيها الإله الأوحد الذي ليس له نظير! أنت خلقتَ العالم وفق رغبتك وحدك، إذ كنتَ وحيدًا. خلقتَ البشر، والماشية، ووحوش البريّة، وكل ما على الأرض وما يطير بأجنحته في السماء ...». هذا المقطع ينطوي على تصريح جريء بوحدانية الخالق إنه إله واحد خلق كل شيء بمفرده. كما يذكر أن التنوّع البشري في

(1) تُعدّ ترنيمة «آتون العظمى» نصًّا دينيًّا شعريًّا من عصر العمارنة، يُنسب إلى الفرعون «أخناتون»، ويُصوِّر الإله «آتون» بوصفه الخالق الأوحد ومصدر الحياة والنور والنظام الكوني، حيث يُقدَّم «آتون» على أنه الإله الذي يهب الحياة لكل البشر دون تمييز، ويُنظّم الكون وفق إرادته المطلقة، دون وساطة أي مجمع آلهة كما في العقيدة المصرية التقليدية. وتمثل هذه الترنيمة أوضح بيان لاهوتي لعقيدة «أخناتون» التوحيدية في مصر القديمة (Lichtheim, 1978, p 96).

سوريا والنوبة ومصر، مختلفو الألسن والألوان، وكلهم من صنع «آتون» الذي ميّزهم شعوبًا مختلفة لكنه يعولهم جميعًا. ويصف كيف أن «آتون» جعل النيل يتدفّق في باطن الأرض من أجل المصريّين، وأمطارًا لبقية الشعوب، ليروي الجميع وفق حاجتهم. هذه الرؤية شديدة الأصالة في سياق الفكر المصري، إذ تجمع العالم المعروف كله تحت رعاية إله واحد يهتمّ بجميع الأمم، وليس فقط بالمصريّين. إنها عقيدة كونية بامتياز (Lichtheim, 1978, p 98).

وفي إشارة إلى العلاقة الخاصّة بين «أخناتون» وإلهه في الترنيمة؛ فالملك يعدّ نفسه ابنًا مقرّبًا من «آتون»، ويشير إلى زوجته «نفرتيتي»[1] وأولاده بأنهم المباركون من الإله. وهذا ما يعزّز فكرة أن «أخناتون» رأى نفسه ممثّلًا للآلهة الموحى إليه فضلًا عن كونه ملكًا.

يتجلّى البُعد الأخلاقي والروحي في تصوير عناية «آتون» بالمخلوقات كافّة، البشر والحيوانات وحتى الأجنّة في بطون أمهاتهم، يُنسب خلقها وتشكيلها إليه. وهنا يصوّر كيف «يوفر الغذاء لكل فرد ويحدد لكل منهم عمره»، وأنه حتى حين يختلف الناس في لغاتهم وطبائعهم وأشكالهم فإن ذلك بتدبير إلهي حكيم. هنا يمكن لمس فكرة الوحدة ضمن التنوع، فالتنوّع البشري والطبيعي هو إرادة الإله الواحد، وليس مؤشّرًا لتعدّد الآلهة كما كان يفكر عقل المصري القديم الذي ينسب كل قوة طبيعية أو ظاهرة إلى ربّ مختلف. فقلب «أخناتون» المعادلة بأن قوة إلهيّة واحدة تتجلّى في صوَر متنوّعة. وربما نجد صدًى بعيدًا لهذا المفهوم لاحقًا في فلسفات توحيديّة تقول بأن الله واحد لكن تجليّاته في الخلق متعدّدة.

(1) زوجة «أخناتون» وأم كل من الملكة «مريت آتون» زوجة الملك «سمنخ كارع» والملكة «عنخ أس أن بآتون» زوجة الملك «توت عنخ آمون»، يعنى اسمها «الجميلة وصلت». اشتهرت الملكة «نفرتيتي» بجمالها وجاذبيّتها وإن كانت جنسيّتها للآن موضع نقاش بين الآثاريين، فمنهم من يعتقد أنها مصرية ومنهم من يرى أنها ميتانيّة (أديب، 2000، ص 817).

تقدم لنا ترنيمة «آتون» رؤية فلسفية-شعرية لعقيدة «أخناتون»، فهي ترتقي بعقله من عالم الآلهة المتعدّدة ذوي الأدوار المحدودة، إلى تأمّل في قوة كلّيّة شموليّة خلف كل مظاهر الوجود. إنها بمثابة بيان توحيدي يعلن هيمنة نور واحد فوق ظلمات العالم المتعدّدة، ويؤكّد على علاقة حبّ ورعاية مباشرة بين هذا الإله وخَلقِه من خلال شخص الفرعون. ولا عجب أن أحد علماء المصريّات المعاصرين وصف هذه الترنيمة بأنها «إحدى أروع القطع الشعرية التي وصلتنا من العالم قبل الإغريقي» (Lichtheim, 1978, p 96).

10. نتائج حكم أخناتون وما تلاه بعد وفاته

انتهى عهد «أخناتون» نهاية غامضة نسبيًّا. فوفقًا للنقوش؛ تشير لوحات حدود مدينة «أخيتاتون» إلى أن آخر تاريخ موثّق لحكم «أخناتون» هو السنة السابعة عشرة من حكمه، وهي آخر سنة مؤكدّة لحياته، ما يؤكّد الاعتقاد أنه توفي في حوالي 1336 ق.م. ولا تزال الأسباب المباشرة لوفاته غير معروفة، كما أنه لم يُعثر بشكل قاطع على موميائه.

بعد وفاته؛ واجهت مصر فراغًا سياسيًّا ودينيًّا كبيرًا. وتشير الأدلة إلى أن النظام الذي بناه بدأ يتفكّك سريعًا، حكم بعده أحد مقربيه لمدّة وجيزة، لكن سرعان ما تبوّأ العرش طفل صغير هو «توت عنخ آتون»، صهر أخناتون (Kemp, 2012, p.p. 33 - 36).

بمجيء «توت عنخ آتون» إلى الحكم بدأت عملية التراجع عن ثورة «أخناتون» على نحو مدروس. فأول ما قام به الوصاة تغيير اسم الملك الطفل من «توت عنخ آتون» إلى «توت عنخ آمون»، في دلالة رمزية قوية على عودة رضا الإله «آمون». ثم صدر مرسوم يُعرف اليوم بـ «لوحة الترميم» أو «مرسوم الاستعادة»، يعلن أن الآلهة التي هُجِرت عبادتها أثناء عهد «أخناتون» غاضبة، وأنه سترمّم معابدها وستعاد طقوسها. وبالفعل، أعيد فتح معابد «آمون» وباقي الآلهة، ورُمّمت التماثيل المحطّمة،

واستؤنفت المهرجانات الدينيّة القديمة. وأمر البلاط الملكي بالانتقال مجدّدًا من «أخيتاتون» التي فقدت قدسيّتها برحيل مؤسّسها، إلى «ممفيس» ثم «طيبة». غادرت العائلات والموظفون المدينة على عجل، تاركين المدينة للنسيان؛ حتى أنها لم تسكن بشكل جدّي بعد ذلك وأضحت خرائب مع مرور الزمن (Hornung, 2001, p.p. 70 - 73).

1.10. على الصعيد السياسي

استعاد الحكم توازنه التقليدي. فبعد «توت عنخ آمون» الذي توفي شابًّا حوالي 1323 ق.م. تولى الوزير «آي»[1] لمدّة وجيزة، ثم القائد العسكري «حورمحب»[2] الذي يعدّ في بعض القوائم آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة. وقام الأخير بدور أساسي في إعادة النظام، فأصلح الإدارة، وعاقب المسؤولين الفاسدين، كما طالت عقوباته أيضًا من يعدّهم متورّطين في «بدعة» أخناتون. الأهم؛ أنه اتّخذ إجراءات لمحو ذكر «أخناتون» من التاريخ الرسمي. ففي عهد «حورمحب» ومن بعده، اعتُمدت سياسة طمس الذاكرة ضد ملوك «العمارنة». وأمر بإزالة أسماء «أخناتون» وخلفائه المباشرين من السجلات الملكيّة، حيث تتجاهل قوائم الملوك الرسمية وجودهم. وهناك مثال بارز على ذلك

(1) من ملوك الأسرة الثامنة عشرة ومن كبار رجال الدين، وقد سارع إلى اعتناق عقيدة «آتون» التي بشّر بها «أخناتون»، ومن أكثر المقرّبين للملك وحاز على ألقاب تدلّ على مكانته الكبرى في البلاط وانه كان من أصهار البيت المالك، وكان كذلك من أول المرتدّين على عقيدة «آتون»، عندما أفل نجمها وذهب مع «توت عنخ أمون» إلى «طيبة»، وسانده في مجابهة الموقف بل وكان شريكا له في العرش. وحمل «آي» الثقب الكهنوتي «الأب الإلهي»، وقد صُوّر على جدران مقبرة «توت عنخ أمون» بلباس الكهنة ويقوم بطقس فتح الفم لمومياء الملك المتوفى «توت عنخ أمون». وبعد موت الملك الشاب اعتلى «آي» عرش مصر وبقي لمدّة قصيرة لم تصل إلى أربعة أعوام ثم مات ودُفن في مقبرته في وادي الملوك الغربي. (أديب، 2000، ص 13).

(2) عدّ كاتب كل من قائمة «أبيدوس» وسقارة الملك، «حور محب» أول ملك شرعي بعد الملك «أمنحوتب» الثالث وتجاهل عن عمد كلًّا من «أخناتون» و«سمنخ كارع» و«توت عنخ أمون» و«آي» الموصومين بالآتونية. كان «حور محب» هو اليد المحركة في عهد الملك «آي». شغل وظيفة القائد الأعلى للجيوش المصرية فاستطاع بسهولة من أن يعتلي عرش مصر بعد وفاته وذلك لعدم وجود الوريث الشرعي. وقد استطاع أن يكتسب شرعيّته بزواجه من الأميرة «موت نجمت» أخت الملكة «نفرتيتي» (أديب، 2000، ص 382).

في «قائمة ملوك أبيدوس»[1] المنقوشة في عهد «سيتي الأول» (1304 ـ 1290 ق.م.)[2] بداية الأسرة التاسعة عشرة، حيث تنتقل القائمة من «أمنحتب الثالث» (1390 ـ 1353 ق.م.)[3] مباشرةً إلى «حورمحب» متجاهلةً «أمنحتب الرابع» (أخناتون) و«سمنخ كا رع» و«توت عنخ آمون» و«آي». كما استُخدم التعبير المهين «الفرعون المارق» أو «ذلك المجرم» عند الإشارة إلى «أخناتون» في النصوص اللاحقة دون ذكر اسمه. وتعرّضت تماثيله القليلة الباقية وأسماؤه المحفورة في المعابد إمّا للتخريب وإمّا إعادة الاستخدام كمواد بناء (Redford, 1984, p. 228).

2.10. على الصعيد الاجتماعي والثقافي

تلقى المصريّون عودة التقاليد القديمة بارتياح واضح. فسرعان ما عادت العائلات لإطلاق أسماء الآلهة، خاصة اسم «آمون»، على أبنائها، واستُؤنفت المواكب الدينيّة الشعبية، وعاد كهنة المعابد لممارسة دورهم في المجتمع. قد يكون البعض ممّن اعتنقوا عقيدة «آتون» علنًا شعروا بالحاجة للتكفير أو التكتّم، لكن في المجمل عاد التوازن الديني القديم بسرعة مذهلة، ما يدلّ على أن التجربة الآتونيّة بقيت سطحيّة الجذور بين معظم الناس. رغم بقاء بعض الأفكار الجديدة، كتصوير الآلهة بشكل

(1) نجد في «أبيدوس» مقابر عثر فيها على آثار بأسماء ملوك الأسرتَين الأولى والثانية، وعلى الرغم من أن ملوك الدولة القديمة ابتداء من «زوسر» مؤسّس الأسرة الثالثة كانوا يدفنون في الجبانة المنفية في الشمال فمن المرجح أنه كانت لهم أضرحة في «أبيدوس» في الوقت ذاته قبل الأسرة الثالثة أي في العصر العتيق (أديب، 2000، ص 30).

(2) أحد ملوك الأسرة التاسعة عشر، تولى الحكم بعد والده «رمسيس» الأول ويبدو أنه كان مشتركًا معه في الحكم في أواخر أيامه، وكان لقبه «النبتى» هو «وحم ـ مسوت»، أي تكرار الولادة بمعنى عصر البعث أو عصر النهضة. فقد بدأ «سيتى» الأول عصراً جديدًا في تاريخ مصر. واهتم فيه بالفلك وأرّخ سنوات حكمه الأولى باسم سنوات النهضة (أديب، 2000، ص 529).

(3) أحد ملوك الأسرة الثامنة عشر، خلف «تحتمس» الرابع على عرش مصر ابنه الملك «أمنحوتب» الثالث. وقد ادّعى، كما ادّعت «حتشبسوت» من قبل على جدران معبدها في الدير البحري ـ أنه ابن الإله «آمون رع»، وسجّل هذه الأسطورة على جدران حجرة الولادة بمعبد الأقصر، لذا نرى هناك صورة الإله «آمون رع» وقد تجسّد في شخصية «تحتمس» الرابع الذي يجتمع بزوجته الملكة «موت ـ ام ـ أويا» لإنجاب ولى العهد الأمير «أمنحوتب» (أديب، 2000، ص 192).

أكثر روحانيّة وأقل تجسيدًا، عالقة في الذهن، لكن الديانة الرسميّة عادت تعدّدية كما كانت. وتجدر الإشارة إلى التحدّي لسلطة الكهنة بعد حوالي أربعة عقود من اختفاء أخناتون، إذ حاول الملك «سيتي» الأول (1304ـ1290 ق.م.) التخفيف من نفوذ كهنة «آمون ـ رع» لكن بمواجهة غير مباشرة وبإله آخر وهو الإله «أوزيريس» الذي تعبّد له المصريون قاطبةً لكونه حاكمًا للفردوس، ولم يستطع كهنة «آمون ـ رع» مقاومته، إذ إن السعادة الأبدية بالنسبة للفرد المصري العادي أهم بكثير من امبراطوريّات العالم، وكانت المدينة المقدسة لـ«أوزيريس» في «أبيدوس» محجّة للمصريين من أبناء مصر كافة، ومع تولي الملك «سيتي» عرش مصر غدت «أبيدوس» أهم مركز في مصر لعبادة الإله «أوزيريس». وكانت الغاية من بناء هذا المعبد إيجاد فقرة مضادة توازن نفوذ «آمون ـ رع» (ورد، 1981، ص 175).

3.10 على الصعيد الاقتصادي

تم التخلي عن العاصمة «أخيتاتون» وإهمالها، وعادت موارد الدولة تتوزّع على معابد الآلهة المتعدّدة. وقد أصدر «توت عنخ آمون» مرسومًا بإعفاء المعابد التي تضرّرت من الضرائب لمدّة زمنية كي تستعيد عافيتها. وبحلول نهاية عهد «حورمحب»، كانت مصر قد استعادت عافيتها السياسيّة والاقتصاديّة نسبيًّا، واستعدّت الأسرة التاسعة عشر، بدءًا من رعمسيس الأول (1292 1290ـق.م.)[1] ثم «سيتي» الأول (ـ1290 1279 ق.م.) فرعمسيس الثاني (1279ـ1213 ق.م.)[2] لإعادة مصر إلى

(1) يعدّ «حور محب» واسطة العقد بين عصرين، عصر العمارنة الذي انتهى بوفاة الملك «آي»، وعصر الرعامسة الذي يبدأ بالملك «رمسيس» الأول (باللغة ـ المصرية القديمة «رع مس سو أي» الإله «رع» هو الذي أنجبه) مؤسّس الأسرة التاسعة عشر. فيما نجد الملك «حور محب» لم يكن له وريث من الذكور فاختار زميلًا انخرط معه في سلك الجندية هو رئيس الرماة «بارع مس سو» وكان كبير السن. (أديب، 2000، ص 453).

(2) أشهر ملوك الأسرة التاسعة عشر، تولّى الحكم بعد وفاة والده «سيتى» الأول وحكم مصر (67) عامًا، وأقام أثناءها العديد من المعابد والمنشآت التي خلّدت اسمه على مدى العصور. وقد ذكر نص في معبد الملك «سيتى» الأول بـ«أبيدوس» أن الملك قد أشرك معه ابنه «رمسيس» (الثاني) في الحكم، ولم يعترف «رمسيس الثاني» بهذه المدّة وعدّ بداية حكمه بعد وفاة والده مباشرة وبجلوسه على عرش مصر منفردًا (أديب، 2000، ص 454).

مسرح القوة الإقليمية. أما «أخناتون»، فتحوّل إلى هامش منسي في الوعي التاريخي المصري لاحقًا؛ إذ لم يذكره أحد بشكلٍ علني، ولم تُحفظ سيرته إلا كتحذير ضمني من مغبة الخروج على تقاليد «ماعت».

مع ذلك، بقيت آثار حكمه ظاهرة للعيان في أطلال «العمارنة» وفي ترانيم «آتون» التي نُسيت طويلًا. ولم يُكتب «الخلود» لـ«أخناتون» في ثقافة بلاده كما طمح، لكن ذكراه بُعثت من جديد في العصر الحديث مع اكتشافات القرن التاسع عشر، عندما أخرج علماء الآثار تراب النسيان عن تلك الحقبة، فكُشف عن فنون «العمارنة» المميّزة، وعن رسائل «تلّ العمارنة» التي ألقت ضوءًا على دبلوماسيّة عصره، وعن نقوش الترنيمة العظيمة. ومنذ ذلك الحين، حظي «أخناتون» باهتمام هائل من المؤرّخين وعلماء المصريّات كواحد من أكثر الحكام فرادةً وغموضًا. وينظر آخرون إليه كحاكم مثالي عزل نفسه في رؤى دينيّة وتسبب في اضطراب دولته، أو حتى كديكتاتور فكري حاول فرض عقيدته بالقوة. ومهما كانت التقييمات، يبقى شخصية مركّبة تستعصي على الأحكام المسّبقة، فهو الملك الورع صاحب الترنيمة الخالدة، وهو الثائر على التقاليد الذي دفع ثمن ثورته أبناؤه وبلده من بعده.

11. الاستنتاج

يقدّم عهد الفرعون «أخناتون» نموذجًا فريدًا في التاريخ القديم لثورة دينيّة وفلسفيّة حاولت إعادة تشكيل المجتمع وفق رؤية توحيديّة شاملة. لقد جاء في حقبة قويّة ومستقرّة نسبيًّا من تاريخ مصر، لكنه اختار أن يتحدّى ركائز الهويّة الدينيّة والاجتماعيّة لأمّته عبر رفع شعار إله واحد أحد. وفي غضون سنوات قليلة، غيّر مسار الفن والعمارة، وغيّر مقر الحكم، وغيّر أسماء الناس والآلهة، في مسعى طموح لجعل مصر «أرض آتون». تكشف الدراسة هذه، أن ثورته لها أسباب وجذور متعدّدة، فهي فكرية روحانية لدى شخص الملك، وسياسية مصلحية تتعلّق بصراع السلطة مع كهنوت «آمون»، واقتصادية تتصّل بإعادة توزيع الموارد. وقد أثّرت هذه الثورة بعمق في فئة النخبة

وأسفرت عن مركزيّة السلطة دينيًّا ودنيويًّا، لكنها لم تتغلغل تمامًا في وجدان عامّة الشعب الذي ظلّ على ولائه لتعدّديّته الراسخة. كما رأينا، شكّلت ترنيمة «آتون» أحد أبرز إنجازاته الفكرية، إذ صاغت عقيدته بلغة شعريّة عالية جمعت بين توحيد الخالق وشموليّة العناية الإلهيّة بكل الشعوب والكائنات، ما منحها بُعدًا فلسفيًّا عالميًّا نادر المثال في ذلك العصر.

لكن تجربة «أخناتون» لم تستمر طويلًا؛ فبعد وفاته ارتدّت مصر سريعًا إلى عقائدها القديمة، وكأن تلك الأعوام السبعة عشر كانت حلقة استثنائيّة خارجة عن السياق. كانت صدمة التغيير السريع وصرامته سببًا في رفض المجتمع لها بمجرد زوال قبضة صاحبها. أظهرت ردّة الفعل الحازمة من خلفائه بإزالة اسمه وآثاره، مدى تعارض مشروعه مع المزاج العام والتقليد المتجذّر. ومع ذلك، ترك «أخناتون» بصمته في تاريخ الإنسانية كأوّل حاكم جسَّد فكرة التوحيد وتجرّأ على إعلانها سياسة رسميّة.

إن دراسة هذه الحقبة تعطينا نظرة معمّقة عن كيفيّة تفاعل الدين مع السياسة، وكيف يمكن لإيديولوجيا حاكم فرد أن تعيد صياغة مجتمع بأسره ولو لمدّة محدودة. كما تثير التفكير حول مفهوم التسامح والتعدّدية في مقابل اليقين الإيماني الواحد، فعقيدة «أخناتون»، على الرغم من سموّها بنظره، افتقرت إلى المرونة، فسرعان ما انهارت أمام التنوّع الطبيعي للمعتقدات في مجتمعه. ومن منظور تاريخ الأديان، يمثل «أخناتون» وتجربته درسًا مبكرًا حول صعوبة فرض العقيدة من أعلى على مجتمع متجذّر التقاليد، وحول العلاقة المعقّدة بين الحقائق الروحيّة والواقع الاجتماعي.

إن إرث «أخناتون» الحقيقي لا يكمن في تأثيره المباشر في تاريخ مصر اللاحق، فقد كان محدودًا وزائلًا، وإنما في الأسئلة التي يطرحها على دارسي التاريخ عن قدرة الأفكار على تغيير العالم، وعن حدود تلك القدرة حين تصطدم بثوابت المجتمع، وعن الصراع الأزلي بين الجديد الجذري والموروث الراسخ. هذه الأسئلة تجعل من دراسة «أخناتون» وثورته أكثر من مجرّد نبش في الماضي؛ إنها تأمّل في طبيعة التحوّل الحضاري نفسه.

لائحة المراجع

المراجع العربية

1. أديب، سمير. (2000). **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.
2. بريستد، جيمس. (1996). **تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي**. القاهرة: مكتبة مدبولي.
3. حسن، سليم. (2000). **موسوعة مصر القديمة** ج 4/ ج5/ ج6. القاهرة: مكتبة الأسرة.
4. الحموي، ياقوت. (1977). **معجم البلدان**. بيروت: دار صادر.
5. ريدا، كارلو. (2008). **معجم آلهة مصر القديمة**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
6. عبودي، هنري (1991). **معجم الحضارات السامية**. طرابلس، لبنان: دار جرّوس برس.
7. فخري، أحمد. (2012). **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**. القاهرة: دار المعارف.
8. ورد، وليام. (1981). **النظرية السياسية وتطبيقها في مصر القديمة**. بيروت: دار الفكر العربي.

المراجع الأجنبية

1. Assmann, J. (2014). *From Akhenaten to Moses: Ancient Egypt and Religious Change*. Cairo: American University in Cairo Press
2. Aldred, C. (1988). *Akhenaten: King of Egypt*. London: Thames & Hudson

3. Hornung, E. (2001). *Akhenaten and the Religion of Light*. NY: Cornell University Press.

4. Kemp, B. J. (2012). *The City of Akhenaten and Nefertiti: Amarna and Its People.* London: Thames & Hudson.

5. Lichtheim, M. (1978). *The Great Hymn to the Aten.» In: Ancient Egyptian Literature, Volume II: The New Kingdom*. Berkeley: University of California Press.

6. Redford, D. B. (1984). *Akhenaten: The Heretic King*. Princeton. NJ: Princeton University Press.

7. Shaw, I. (1996). *The Oxford History of Ancient Egypt*. Oxford: Oxford University Press.

صدر عن

دار بيروت الدولية

د. فاطمة مصطفى دقماق

الذّكاءُ العاطفي

سرُّ نجاحك في الحياة

تقديم البروفسور فوزي أيوب

الفصل الأول: مفهوم الذكاء العاطفي ونشأته

الفصل الثاني: الذكاء العاطفي على المستوى الشخصي

الفصل الثالث: كيف تُنمّي الذكاء العاطفي

الفصل الرابع: أهمية الذكاء العاطفي في مجالات الحياة

تجدونه لدى:

- دار بيروت الدولية، حارة حريك، 03/973983.
- الدكتورة فاطمة مصطفى دقماق 03/788626 / الجنوب.
- مكتبة السيد محمد حسين فضل الله العامة، حارة حريك، جانب مستشفى بهمن.
- مكتبة فيلوسوفيا، حارة حريك، شارع الشيخ راغب حرب، 71/548418.
- مكتبة أفكار، حارة حريك، 03/007768.

دار بيروت الدولية
للطباعة والنشر والتوزيع

INTERNATIONAL
Scientific Indexing
Fresh Ideas for Growing your Citations

Certificate

This is to certify that **Sada Al-Oulum** is indexed in International Scientific Indexing (ISI). The Journal has Impact Factor Value of **0.623** based on International Citation Report (ICR) for the year **2023-2024** .
The URL for journal on our server is
https://isindexing.com/isi/journaldetails.php?id=23574

Editor ICR Team
(ISI)

International Scientific Indexing
(ISI)

INTERNATIONAL
Scientific Indexing
Fresh Ideas for Growing your Citations

Certificate

This is to certify that **Sada Al-Oulum** is indexed in International Scientific Indexing (ISI). The Journal has Impact Factor Value of **0.961** based on International Citation Report (ICR) for the year **2024-2025**

The URL for journal on our server is
https://isindexing.com/isi/journaldetails.php?id=23574

Editor ICR Team
(ISI)

International Scientific Indexing
(ISI)

INTERNATIONAL
Scientific Indexing

Certificate

Fresh Ideas for Growing your Citations

This is to certify that **Sada Al-Oulum** is indexed in International Scientific Indexing (ISI).
The Journal has Impact Factor Value of **1.198** for the year **2025-2026**.

URL: https://isindexing.com/isi/journaldetails.php?id=23574

Editor ICR Team
(ISI)

International Scientific Indexing
(ISI)

موقع المجلة الإلكتروني: www.sadaloulum.com
البريد الإلكتروني: sadaloulum@gmail.com
الرقم التسلسلي المعياري الدولي لتعريف الدوريات الإلكترونية: ISSN 9431-2959